الفصل الثاني

كيف تستحوذ على إعجابهم

٩- تغير أنت أولا

١٠- خصص جزءا من وقتك

١١- لبس البوصة تبقى عروسة

١٢- تصرف بحكمة

١٣- أتقن عملك

١٤- تكلم ببطء

١٥- كن قائدا

(٩) تغيّر

تغيّر أنت أولا قبل أن تطلب من الآخرين التغيير، وإذا كانت عملية التغيير سهلة فلماذا لا تقوم بها أنت ؟ وإذا كانت صعبة – من وجهة نظرك – فلماذا تأمر الآخرين بضرورة التغيير؟

لا تنس يا بني عتاب المولى سبحانه لبني إسرائيل: (أتأمرون النّاس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون [1]) .

إن تغيرك علامة على نجاحك، وعلى بداية تحكمك في ذاتك، وسيطرتك على مجريات حياتك، وستكون نقاط تغيرك هي الأعمق تأثيرًا فيمن حولك، وستكون حينذاك قد ساهمت في تغيير من حولك بالتأثير والقدوة وليس بالكلام والرغبة .

إن الحكمة الخالدة تقول: **فعل رجل في ألف رجل أشد تأثيرا من قول ألف رجل في رجل.**

---

[1] سورة البقرة، آية ٤٤ .

هل تعلم لماذا يا بني ؟ لأن الناس تختبر قدرتك على فعل ما تقــول ولا تكتفــي بالاستماع إليك، فما أسهل الكلام وما أجمل الفعل، تأمل معي هذا المشهد الــساخر للطبيب الذي يصف العلاج للمريض وهو ينصحه بالابتعاد تمامًا عن التدخين؛ لأنه شديد الضرر على الصحة، ثم يقابله المريض بعد لحظــات قليلــة فــي طرقــات المستشفى وهو يدخن سيجارة، فكيف يقتنع المريض؟ وهل يصدق قول الطبيــب أم فعله ؟ وكذلك الأب دائم النصح لأبنائه بعدم الكذب وهو يكذب أمامهم ليل نهار .

اسمع معي هذه القصة الرائعة لرجل حاول تغيير العالم، فماذا كتب في مذكراته؟

عندما كنت شابًّا حرًّا طليقا، ولم يكن لمخيلتي حدود، كنت أحلم بتغيير العالم. وكلما ازددت سنا وحكمة، كنت أكتشف أن العالم لا يتغير، لذا قللت من طموحي إلى حد ما وقررت تغيير بلدي لا أكثر، إلا أن بلدي هي الأخرى بدت وكأنها باقية على ما هي عليه، وحينما دخلت مرحلة الشيخوخة حاولت في محاولة يائسة أخيرة أن أغير عائلتي ومن كانوا أقرب الناس لي، ولكن باءت محاولتي بالفشل ...

القدرة التامة على إحداث التغيير الشخصي من أجل النعم التي منحها الله إيانا، والناس نوعان: إما فهم النعمة ومن ثم فهو دائم التغيير إلى الأفضل، وإما لم يفهم هذه النعمة؛ ولذلك فهو دائم اللوم على الآخرين لأنهم لا يريدون التغيير

شريف صلاح الدين

واليوم .. وأنا على فراش الموت أدركت فجأة كل ما هو في الأمر.. ليتني كنت غيرت ذاتي في بادئ الأمر .. ثم بعد ذلك حاولت تغيير عائلتي، ثم بإلهام وتشجيع منها، ربما كنت قد أقدمت على تطوير بلدي، ومن يدري، ربما كنت استطعت أخيرًا تغيير العالم برمته .

لقد كان غاندي شديد التأثير على الشعب

الهندي بأفعاله وليس فقط بأقواله، ومن أجمل ما قال هذا الرجل الحكيم: **"كن أنت التغيير الذي تحب أن تراه في العالم"**.

لقد ذهبت إليه امرأة ومعها ابنها لكي ينصحه الحكيم الهندي بالتقليل من أكل الشوكولاتة نظرًا للأضرار التي تتسبب نتيجة الإكثار منها فجلس الطفل وأمه بين يدي غاندي، فقال لهما في رفق: اذهبا إلى بلدكما وعودا إليّ بعد شهر دون أن يعقب على ذلك .

ذهبت المرأة إلى قريتها ومعها ابنها ثم عادا بعد شهر كما طلب الحكيم، فجلسا بين يديه مرة أخرى فقال للطفل: يا بني إن أكل الشوكولاتة بكثرة يضر بصحتك كثيرًا عندما تكبر، ولأني أعلم أنك ستكون ناجحًا وينتظرك مستقبل باهر فأنا أعلم أنك ستحرص على فعل ما ينفعك والابتعاد عما يضرك، تعجبت الأم كثيرًا من كلام غاندي، وسألته: أيها الحكيم لماذا لم تقدم له هذه النصيحة عندما جئنا إليك منذ شهر؟

فقال غاندي في بساطة وهدوء:

عندما حضرتما إلي أول مرة كنت أنا نفسي أتناول الشوكولاتة بكثرة، فلم يكن يجدي أن أطلب منه الامتناع عن شيء وأنا أفعله، وخلال الشهر قمت بالامتناع

عنها والآن أنصحه وأنا أعلم أنه سيستمع إلي وسيصل كلامي إلى قلبه .

وإليك يا بني ما فعله هذا الزعيم الحكيم مع الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس عندما احتلت بريطانيا الهند فرضت عليها شراء الأقمشة البريطانية، وكانت صناعة النسيج في الهند تمثل قوتها الاقتصادية، وكان هدف بريطانيا تحطيم الاقتصاد الهندي، فقامت بعرض الأقمشة البريطانية الباهظة الثمن في الأسواق الهندية بأسعار زهيدة جدًا، في مقابل الأسعار الغالية نسبيًا للبضاعة الوطنية الهندية، ولا شك أنّ الناس تحولت- مثل جميع دول العالم الثالث - إلى شراء الأرخص وخاصة لو كانت البضاعة جيدة، ولم تمض بضع سنين إلا وقد اضطر معظم أصحاب مصانع النسيج إلى إغلاق مصانعهم والهجرة إلى المدن الكبرى للعمل عند البريطانيين، ولكن الحكيم غاندي فطن للمؤامرة، فأحيا في الشعب الهندي روح التحدي لبريطانيا التي تحتل بلاده، وأيقظ في الشعب إرادة الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي كما أيقظ فيه حب الصناعات اليدوية التي كانت الهند تشتهر بها تاريخيًا، واستطاع بالفعل إرجاع شعبه إلى تلك الصناعات اليدوية، كما أمر شعبه أن يقاطع البضائع البريطانية، فما كان من السلطات البريطانية إلا أن أخذت غاندي بالقوة إلى بريطانيا، ومرت به عبر شارع طويل في (لانكشير) حيث أمروا العمال العاطلين

عن العمل بسبب المقاطعة الهندية لمنتجاتهم أن يصطفوا على جانبي الطريق الذي بلغ عدة أميال، وبعد أن شاهدهم (غاندي) سأله البريطانيون: هل شاهدت هؤلاء ؟ فقال: نعم، فقالوا له: هؤلاء ضحايا تعليماتك للشعب الهندي بمقاطعة البضائع الإنجليزية، فسألهم غاندي: أين يسكن هؤلاء ؟ وكيف يأكلون ؟ فقالوا له: إنهم يقطنون منازلهم والمصانع تعطيهم نسبة معينة من أجورهم، فقال لهم غاندي: إن شعبي هناك ينامون في الشوارع، ويموتون جوعًا، وليس هناك من يتصدق عليهم، وما فعلت ما فعلت إلا من أجل إنقاذ ذلك الشعب البائس، لقد استطاع غاندي أن يزرع في قلب الشعب الهندي روح التحدي لمقاومة خطط المستعمرين لتدمير الاقتصاد الهندي وتدمير إرادة الشعب، ولكن الآن استطاع الشعب الهندي بروح التحدي أن يبرع في صناعة كل شيء من الإبرة وحتى القنبلة الذرية، وأصبحت الهند الآن قوة صناعية كبرى .

قال الله ﷻ: ﴿إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾ [1]

[1] سورة الرعد، آية ١١ .

(١٠) خصص

خصّص جزءًا من وقتك للنفع العام، ولا تسمح لإيقاع الحياة السريع أن يسرق وقتك ويجعلك منكبًّا على نفسك فقط .

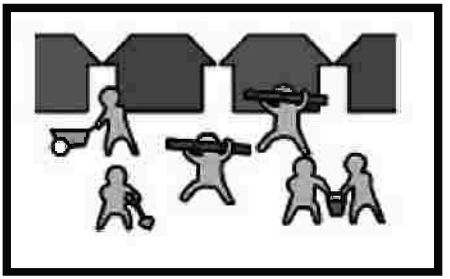

إن عجلة الحياة لا تتوقف ومشاغلها لا تنتهي والاستسلام لها يذهب بالسكينة والطمأنينة، فلابد من الشعور أننا ما زلنا نمتلك القدرة على التحكم والإمساك بزمام الأمور، ولن يكون ذلك إلا بالتغاضي لبغض الوقت عن هذا الهلع المادي وتوجيه الاهتمام إلى أداء بعض الخدمات إلى من حولنا تساعدهم وتعينهم على مصاعب الحياة فليكن ذلك في زيارة الأيتام وتسليتهم فضلًا عن تلبية بعض احتياجاتهم المادية، أو بتفقد دار المسنين الذين أدارت الدنيا ظهرها لهم لتخفف عنهم وتسمع منهم ذكرياتهم الجميلة بعد أن صم الجميع آذانهم أمام صيحاتهم، وسيكون ذلك

عظيمًا في ميزان حسناتك عند رب العباد طالما صدقت نيتك في إدخال السرور على قلوبهم .

إنني لا أريدك يا بني أن تفعل ذلك وأنت تفكر مثل الكثيرين بأن ما تفعله اليوم سوف تجنيه عند صاحب الأمر ومدبر الوجود .

إن العمل للنفع العام لبعض الوقت سوف يعود عليك بالخير العميم في المستقبل، ولا تظن يا بني أن الأمر سهلا، وعليك أن تتوقع كثيرًا من المحبطات والتهكم والسخرية من البعض ممن يجهلون قوانين الحياة .

هذه عينة من آراء الذين ستقابلهم وتعرض عليهم المساهمة في عمليات النفع العام:

إن التسلية والاستمتاع مع الأصحاب أهم بكثير .

ليست هناك فائدة ولن يشعر بك أحد .

من تظن نفسك ؟ مصلح اجتماعي عايش في دور واحد مهم !

هذه المشاوير ليست فيها مصلحة (فائدة مادية) .

أنت تعاني من حماس وقتي سوف يزول قريبًا !

الذين يساهمون في عمليات النفع العام (ناس فاضية) .

الجمعيات دي بتعمل حاجات غير قانونية وتحاول استقطاب الشباب .

كل الجمعيات لها هدف سياسي تروج له من خلال عمليات النفع العام .

هذه الكلمات وغيرها ستسمعها دائما ليس هنا فحسب، ولكن في كل مرة تبدأ فيها عملا ذا قيمة، وما عليك هو ألا تلتفت كثيرًا إلى هؤلاء، واعتمد على نفسك واطلب العون من الله وكفى به هاديًا ونصيرًا .

أريدك يا بني أن تتعرف على أحد الذين أحبهم ولم ألتق بهم، إنه جاري هيل ذلك الرائع الذي أنشأ مع زوجته مركزًا للاتصال ومساعدة الآخرين، وقد بدأ منفـــردا ومتعرضًا للكثير من الانتقاد وهو ليس ثريًّا كما يظن البعض، كما أنه لا يسلي وقته بأي عمل نظرًا لتقاعده .. إنه يفعل ذلك بقناعة تامة بدوره في النهوض بالبـــشرية والإسهام في خدمة المجتمع..

اليوم يقود جاري هيل شبكة من المنظمات والمتطوعين الذين يقدمون الخـــدمات للمحتاجين، وهو يختصر هذا العمل النبيل بجملة واحدة مختصرة جدًّا تقول:

في هذا العالم أناس يحتاجون إلى المساعدة وآخرون يريدون المساعدة، وكل ما علينا فقط أن نقوم بدور الوسيط دون أجر.

أريد أن يقول عني من يعرفونني تمام المعرفة أنه كان ينزع الأشواك ليزرع الأشجار أينما ظن أن الأزهار قد تنمو .

إبراهام لنكولن

ومن أهم ما ذكره جاري عن خبرته في الحياة أن الناس عندما تقول لهم إن هناك ملايين المشردين في العالم أو ملايين الذين يحتاجون إلى مساعدات في العالم بأسره سيجيب الجميع بقولهم: وماذا بوسعنا أن نفعل ؟ أما إذا قلت لهم: إن هناك شخصًا ما يحتاج إلى مساعدة، فإن كثيرًا منهم سيهبون لتقديم المساعدة على الفور .

لقد كانت لي بعض المساهمات في عمليات النفع العام، ولعل أشهرها وأعمقها أثرًا ما كان في مسجد الصحابة بشارع صلاح سالم بالقاهرة وهو برنامج (من كنوز القرآن والسنة لصناعة نهضة الأمة)، ويهدف إلى الاهتمام بالتطوير الشخصي للوصول إلى مستقبل أفضل للأمة بأسرها .

لقد علمت يا بني قيمة المساهمة في عمل من هذا القبيل بعد تفاعل الناس مع البرنامج وحجم المكالمات الهاتفية التي كنت أتلقاها ورغبتهم في زيادة اللقاءات حيث كان تنظيم البرنامج مرتين أسبوعيًّا خلال شهر رمضان المبارك، وكيف تأثر الناس بالبرنامج، ولكن المفاجئ لي شخصيًّا هو التفاوت الكبير في المراحل العمرية

لمن انتظموا في حضور البرنامج من الشباب والشيوخ والنساء وكذلك التفاوت الكبير في المستوى الثقافي، ولن أنسى أبدًا ذلك الرجل رقيق الحال صاحب الوجه المشرق الصافي الذي كان يعمل ضمن شركة النظافة المسئولة عن المسجد وبعض الشركات المحيطة عندما جاءني في نهاية يوم من أيام البرنامج، وقال لي: **(إنني لم أفهم كل ما قلته لأن فيه حاجات صعبة وأنا لا أعرف القراءة ولا الكتابة لكن فيه حاجات مهمة أنا سمعتها النهارده ولازم أتغير في حياتي)** .

إن هذا الرجل البسيط يا بني هو أكثر من تأثرت بهم، وعلمت أن هناك الكثير من البسطاء يحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم لتحسين حياتهم .

والتجربة الثانية كانت بمدارس المستقبل للغات حيث كان التركيز على نهضة المعلمين وتطويرهم على المستوى الشخصي ليكونوا أكثر عطاء وإيمانا بمسئوليتهم، وكذلك للطلاب لكي يضعوا نصب أعينهم من الآن أهدافًا واضحة يصبون إليها ويخططون لها ويراجعون خططهم أولا بأول للاطمئنان على صحة وسلامة الطريق الذي يسيرون فيه وصولًا لأهدافهم .

وتجربة أخرى رائعة بدار الأيتام لاستنهاض الهمم وزرع اليقين بداخلهم بإمكانية النجاح والتفوق بصرف النظر عن الظروف التي يمرون بها، فما أجمل الأمل

والعمل وما أروع النجاح بعد الفشل .

وتجربة رابعة في الجامعات المصرية مع شباب اليوم وأمل الغد لأقابل هذه الطاقات الهادرة التي تنتظر فقط من يشعل محركات الانطلاق ويضيء أنوار الطريق استعدادًا لرحلة التأثير الإيجابي في الحياة .

إن الاختبار الحقيقي لضمير المرء يكون في مدى استعداده للتضحية بشيء ما للأجيال القادمة التي لن نسمع منها كلمة شكر أو امتنان لما قمنا به .

جيل ورد نيسلون

وتجربة جديدة تركت لدي أثرًا عميقًا، وهي البرنامج الذي قدمته على مدى ثلاثة أيام بالنادي الأهلي، وهو برنامج التدريب التطبيقي على السعادة، حيث أسهم هذا البرنامج بفضل الله وفقًا لآراء من حضروه في تحسين حياتهم وذويهم بشكل واضح وملموس .

(١١) لبس

لبّس البوصة تبقى عروسة[1] .....

دائمًا ما كنت أسمع هذا المثل المعبر من جدتي رحمها الله، ولم أكن أدري أن له مفهومًا واسعًا يشمل الوجود كله وليس قاصرًا على البوصة والعروسة، المهارة كلها فيمن يقوم بتزيين البوصة، وكلما كان أكثر خبرة وفهمًا لمتطلبات اللمسة الجمالية كلما كانت البوصة عروسة أجمل .

قرأت لك وأنا أكتب هذا الجزء كتاب (شوربة دجاج للحياة)، واستوقفتني القصص الرائعة التي يرويها مؤلفه المبدع جاك كانفيلد، وسأروي لك منها هذه القصة الرائعة التي تنطبق على البوصة والعروسة .

لقد كان الكمان قديمًا ومتهالكًا, واعتقد بائع المزاد العلني أن هذا الكمان القديم لا يستحق

إنها لمسة البائع يا بني وليست الآلة هي التي تعطي لقطعة الخشب قيمتها وهكذا في كل مجالات الحياة .

[1] كتاب شوربة دجاج للحياة (جاك كانفيلد)

إضاعة الكثير من وقته الثمين، ولكنه رفعه بابتسامة وصاح: "سأزايد أيها الناس " من الذي سوف يفتتح المزاد؟ دولار.. دولار واحد, اثنان ... اثنان فقط دولاران .... من سيجعلها ثلاثة؟ ثلاثة دولارات ... ولكن لم يزايد أحد حتى جاء من الحجرة الخلفية البعيدة رجل غطى الشيب رأسه التقط القوس، ثم أزال التراب من فوق الكمان، شد الأوتار المرخاة وعزف لحنًا نقيًّا عذبًا كما لو كان نغما ملائكيًّا .

على الرغم من أهمية ترك بصمتك في الحياة هناك ما هو أكثر أهمية من ذلك .. التأكد من أن هذه البصمة تشير نحو الاتجاه الصحيح والجدير بالمدح والثناء .

جورج برنارد شو

وتوقفت الموسيقى...ثم قال بائع المزاد بصوت هادئ ومنخفض: هل أزايد على هذا الكمان القديم ؟ ثم رفعه مع القوس ألف دولار... من سيجعله ألفين؟ ألفان ... من سيجعلها ثلاثة؟ ثلاثة آلاف.. واحد ..ثلاثة آلاف، اثنان ثم قال ثلاثة.... بيعت، وابتهج الناس ولكن صاح بعضهم: لا نفهم جيدًا ما الذي غير قيمته؟ وجاءت الإجابة سريعة **(لمسة يد الأستاذ)**، والعديد من الناس تكون حياتهم غير متناغمة وقديمة وبالية... ومليئة بالخطايا، وتباع بأرخص الأثمان في مزاد لأناس لا يفكرون مثلما حدث مع الكمان القديم . إن هذه القصة يا بني أعادت ذاكرتي إلى الوراء عندما كان يمر علينا بائع الربابة وهي آلة يدوية بسيطة تشبه الكمان تتكون من قطعتين من الخشب، وكان البائع يعزف بها أروع الألحان وكنا نجري وراءه لنرجوه أن ينتظرنا قليلا حتى نذهب إلى البيت سريعا لنأتي بالمال ونشتري هذه الربابة وبالفعل كنا نذهب ونرجو والدينا أن يعطونا مالا لنشتري هذه الآلة الساحرة، وفور شرائها

والعودة بها إلى المنزل نحاول العزف عليها فلا نسمع منها إلا أصواتا لا معنى لها فنتعجب ونتساءل أين ما كنا نسمعه عندما كانت في يد البائع ؟

وكثيرًا ما كان يقوم البعض بإعادتها إلى البائع لاستبدالها بأخرى أفضل منها صوتًا، فإذا بالبائع يعزف عليها مجددًا أعذب الألحان .....

(١٢) تصرف

تصرف بحكمة وفقًا للزمان والمكان والمحيطين، فقد يكون تصرف ما مقبولا اليوم وغير مقبول غدًا والعكس، فليس من الحكمة تقرير ما إذا كان موقف ما صحيحا أو خاطئا على إطلاقه بمعزل عن الزمان والمكان والبشر، ولكن الأمر كله وحدة واحدة لا يمكن تجزئته، واسمع يا بني إلى هذه القصة الطريفة التي حدثت بين بيل (جيتس) وشركة (جنرال موتورز).

تسبب انبهار (بل جيتس) المبالغ فيه بمهنته – ويحق له ذلك – بأنه قام بمقارنة صناعة الكمبيوتر بصناعة السيارات، حيث قال خلال معرض للكمبيوتر بأنه لو أن شركة جنرال موتورز للسيارات حرصت على مواكبة أحدث التقنيات بالشكل الذي واكبته صناعة الكمبيوتر، لقاد الناس سيارات بسعر ٢٥ دولارا والتي تصرف جالونا واحدًا فقط لكل ألف ميل .

وبمجرد تصريحات (بيل جيتس) جمعت شركة جنرال موتورز خبراءها ومستشاريها للنظر في وسيلة مناسبة للرد بحكمة على بيل جيتس، وكسب الجولة أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي، وحدث الآتي .

أطلقت شركة جنرال موتورز نشرة صحفية ردًّا على تصريح بيل جيتس تقول: إذا طورت جنرال موتورز تقنيات على نفس خطى مايكروسوفت كنا رأينا التالي:-

أولا: تتعطل السيارة مرتين على الأقل في اليوم، ومن دون سبب واضح.

ثانيا: عندما يحدث العطل وأنت في منتصف طريق سريع، توقف على جانبي الطريق، أغلق جميع النوافذ، أعد تشغيل السيارة، ثم افتح جميع النوافذ.. والعجيب أنك ستتقبل هذه الطريقة بعد فترة من الوقت .

ثالثا: مؤشرات التنبيه داخل السيارة مثل قرب انتهاء البنزين، خلل في المحرك أو ارتفاع في الحرارة سيستبدل بعبارة ..... " لقد قامت العربة بتنفيذ

مهمة غير شرعية وسيتم إغلاقها "

رابعـــــا: ستستأذنك الوسادة الهوائية الواقية من الحوادث قبل أن تفتح، من خلال ظهور عبارة هل تريد حقًّا فتح الوسادة الهوائية (هل أنت متأكد؟) .

خامسا: في بعض الأحيان، ستقفل السيارة وأنت خارجها ولا تسمح لك بالدخول، إلا إذا قمت بعمل ثلاثة أمور في وقت واحد، كالإمساك بمقبض السيارة وإدخال المفتاح وتحريك اللاقط الخارجي الخاص بالراديو !!

سادسا: تحتاج للضغط على زر «ابدأ» لكي تتمكن من إطفاء محرك السيارة .

سابعا: في كل مرة تطرح فيها سيارة جديدة على الصناعة، يضطر ركابها إلى تعلم كيفية القيادة من جديد، نظرا لظهورها بخصائص جديدة لا تشبه أيا من سابقاتها، عندما نتعرض يا بني للهجوم من آخرين فإننا نملك بالضرورة حق اختيار الوسيلة المناسبة للرد، وهنا تظهر الحكمة والحنكة في الرد أو الحماقة والوقاحة، فلنجعل دائما السمة الغالبة لنا في الرد على منتقدينا هي الخيار الأول (الحكمة والحنكة) .

احرص على تفقد أدوات القوة لديك بانتظام لكي تطمئن على جودتها:

الوقت .. الجهد .. الصبر

شريف صلاح الدين

(١٣) أتقن

أتقن عملك وتطلع إلى محبة الله ﷻ لك قبل أن يكون هدفك إرضاء العباد، فالحبيب المصطفي ﷺ يقول لك: " **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** " .

وتذكر يا بني أن الله ﷻ يعطي في هذه الدنيا على قدر الجهد والعرق وليس فقط على قدر الإيمان والصلاح، وقد قال ﷻ: " كلًّا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظورًا [١] " .

فطوبى لعمل يرضي الله ﷻ ويرضي العباد ويضمن خيري الدنيا والآخرة .

واعلم يا بني أن الله ﷻ قال في كتابه الكريم: (الّذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور [٢])، فالإتقان والإحسان هما الأصل والأساس في درجة كل إنسان عند خالقه ﷻ وتأمل قوله ﷻ: (وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السّحاب صنع اللّه الّذي أتقن كلّ شيءٍ إنّه خبير بما تفعلون [٣]) .

---

[1] سورة الاسراء، آية ٢٠ .

[2] سورة الملك، آية ٢ .

[3] سورة النمل، آية ٨٨ .

ويقول النبي ﷺ: "**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته**" .

انظر يا بني إلى توجيهات النبي ﷺ حتى في حالة وجوب القتل للقصاص أو قتل غير الإنسان من الحشرات أو الحيوانات المؤذية، فإنما يأمرنا أن نحسن القتل، فلا ندع الفترة طويلة، ولا نؤذي ولا نعذب ولا نمثل بالجثث أو غير ذلك مما يتنافى مع سلوك الإتقان في إنهاء العمل على الشكل المثالي المطلوب .

إليك يا بني هذه القصة اللطيفة ..

في فرنسا تم اختيار نقيب العمال وزيرًا للعمل، وما هي إلا أيام وتم انتخاب نقيب جديد، وجاء النقيب الجديد ومعه وفد من العمال إلى الوزير في مكتبه، وتحدث النقيب الجديد إلى الوزير قائلا: نحن لا نريد أي مطالب سوى ما كنت تطالب أنت به عندما كنت نقيبا للعمال قبل توليك منصبك الوزاري ! ففكر الوزير قليلا ثم قال: عندما كنت نقيبا كنت مسئولا عن تخطيط الآمال، أما منصب الوزير فمسئول عن تدبير الأموال .

عندها قال النقيب الجديد للوزير في سخط وسخرية: تذكر أنك كنت ماسح أحذية!! فرد الوزير في ثقة وحزم: ولكنني كنت أجيدها. هذا هو المفتاح السحري: كنت أجيدها!!

بقي يا بني أن أنبهك إلى شيء في غاية الأهمية وهو أن تتعلم الإتقان في جميع الأوقات، وليكن فهمك للإتقان أنه مهارة مطلوبة إجباريًّا وليست اختياريًّا، فلا ينبغي لك أن تقوم ببعض الأعمال بشكل متقن والآخر بشكل غير متقن وإليك هذه القصة لأبين لك ما أقصده .

كان هناك نجار تقدم به العمر، وطلب من رئيسه في العمل وصاحب المؤسسة أن يحيله إلى التقاعد ليعيش بقية عمره مع زوجته وأولاده ...

رفض صاحب العمل طلب النجار ورغّبه بزيادة راتبه ومكافأته بمكافآت إضافية عن كل ساعة يقضيها في العمل إلا أن النجار أصر على طلبه، فقال له صاحب العمل إن لي عندك رجاءً أخيرًا وهو أن تبني منزلًا أخيرًا، وأخبره أنه لن يكلفه بعمل آخر ثم يحال للتقاعد، فوافق النجار على مضض .

الإتقان في العمل هو عقد اللؤلؤ وتاج الماس وخاتم الذهب الذي تتميز بهم الملكة المتوجة عن غيرها.

شريف صلاح الدين

وبدأ العمل، ولعلمه أن هذا هو البيت الأخير، وأنه لن يحصل على ترقيات إضافية، ولن يكون له علاقة بالمؤسسة بعد ذلك، فلم يحسن العمل ولم يتقنه، واستخدم موارد رديئة الصنع، وأسرع في الإنجاز دون الجودة المطلوبة، وكانت الطريقة التي أدى بها العمل غير سليمة مقارنة بما له من خبرة وعمر طويل من الإنجاز والتميز والإبداع، وعندما انتهى النجار العجوز من البناء وحضرت اللجنة المسئولة عن الاستلام ومعها رئيس المؤسسة قام الرئيس بالثناء على النجار أمام اللجنة، وذكر تاريخه الطويل وامتنان المؤسسة للجهود التي بذلها هذا النجار الماهر المخلص، ثم فجر مفاجأة من العيار الثقيل عندما قال: إن هذا المنزل هو هديتي البسيطة لك نظير عملك مع المؤسسة وما بذلته من جهد وإتقان للعمل، فآمل أن تتقبله مني، فصعق النجار من المفاجأة لأنه لو علم أنه يبني منزل العمر لما توانى في الإخلاص في الأداء والإتقان في العمل .

(١٤) تكلم

تكلم ببطء ولكن فكّر بسرعة، فالتفكير السريع هو أحد أهم السمات المميزة للشخصية القوية والكلام ببطء هو الضامن لعدم الزلل والسقوط والاضطرار للتراجع والاعتذار .

عندما تفكر بسرعة وتتكلم ببطء يكون لديك الوقت لتختار بين البدائل التي تحمل نفس المعنى، ولذلك فإن الفرصة ستكون سانحة لاختيار الأفضل والأنسب للمقام، فالحكمة تقتضي أن تجعل لكل مقام مقال، إن المشاعر الإنسانية واحدة عند كل البشر، وإنما الذي يختلف هو طريقة التعبير عنها وفن اختيار الكلمات التي تصف ذلك إيجابًا أو سلبًا.

سأروي لك قصة جميلة عن الملك الذي رأى في المنام أن جميع أسنانه سقطت فأرسل إلى أحد المفسرين ليخبره عن تأويل الرؤيا، فقال له المفسر: يا مولاي الحلم ليس جيدا فهل تريد أن أفسره لك ؟

فقال الملك: نعم.

فقال له: هذا معناه أن كل أهلك يموتون أمامك.

فتغير وجه الملك وغضب وسجن الرجل على الفور.

طلب الملك المفسرين، فرفضوا جميعًا خوفًا من السجن إلا واحدًا منهم قرر الذهاب إلى الملك لتفسير الحلم، فاتهمه أهل المدينة بالجنون، ولكنه حسم الأمر وذهب إلى الملك وسأله عن الحلم فقص الملك الحلم وقد بدت عليه علامات الجزع والألم !

فقال المفسر: أبشر يا أيها الملك أبشر، فقال الملك: لماذا ؟

فقال المفسر مسرورا: تأويل الحلم أنك يا مولاي ستكون أطول أهلك عمرا.

فقال الملك: أنت أفضل المفسرين في المدينة ومكانك ليس في المدينة بين العامة، وسأبني لك قصرًا إلى جوار قصر الملك .

أليس تفسير الحلم في الحالتين أن أهله سيموتون قبله؟ هذا هو فن اختيار الكلمات ذات المعنى الواحد .

إن التفكير السريع من سمات العباقرة كما ذكرت لك، وسرعة البديهة من أسباب النجاح والتأثير في الآخرين كذلك، وهناك الكثير من النوادر الطريفة التي تروى عن سرعة البديهة أذكر لك منها:

جواب برنارد شو حين قال له كاتب مغرور: انا أفضل منك، فإنك تكتب بحثا عن المال وأنا أكتب بحثا عن الشرف.. .

فقال له برناردشو على الفور: صدقت، كل منا يبحث عما ينقصه!

وسأل رجل ثقيل بشار بن برد قائلا: ما أعمى الله رجلا إلا عوضه، فبماذا عوضك ؟

فقال بشار: بأن لا أرى أمثالك!!

قالت نجمة إنجليزية للأديب الفرنسي هنري جانسون: إنه لأمر مزعج، فأنا لا أتمكن من إبقاء أظافري نظيفة في باريس!

فقال على الفور: لأنك تحكين نفسك كثيرًا .

الحديث في برنامج محو الأمية عن التجارب النووية ليس فيه أي قدر من العبقرية .. ولكن أن تخاطب الناس على قدر عقولهم هو قمة العبقرية.

شريف صلاح الدين

تزوج اعمى امرأة فقالت له: لو رأيت بياضي وحسني لعجبت، فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك المبصرون لي .

ويروى أن رجلا قال لامرأته: ما خلق الله أحب إليّ منك. فقالت: ولا أبغض إليّ منك. فقال: الحمد لله الذي أولاني ما أحب وابتلاك بما تكرهين .

تشدقت امرأة أمام صوفي (أرنو) بكثرة المعجبين بها وأنهم يزعجونها، فقالت صوفي: لكم هو سهل إبعادهم أيتها العزيزة ... ما عليك سوى أن تتكلمي !

قال رجل لبرناردشو: أليس الطباخ أنفع للأمة من الشاعر أو الأديب ؟!!

فقال: الكلاب تعتقد ذلك .

كانت الراقصة المشهورة تستعد لركوب سيارتها الفارهة المرسيدس بعد لقاء جماهيري والأديب العالمي نجيب محفوظ صاحب جائزة نوبل وهو يستعد لركوب سيارة متواضعة للغاية فقالت له: بص الأدب عمل فيك إيه!!!

رد عليها نجيب محفوظ بسرعة: وأنت بصي قلة الأدب عملت فيك إيه!!!

(١٥) كن قائدا

كن قائدا قبل أن تكون مديرا، فالقائد يا بني منارة يهتدي بها التائهون وملاذ يأوي إليه الخائفون، ويلجأ إليه المحبطون، أما المدير فغالبًا ما يكون هو سبب الإحباط والقلق والخوف؛ لأنه لم يفكر يوما في الاستعداد للقيادة، بل كان كرسي المدير هو غاية الأمل الذي يضعه نصب عينيه، ويفكر فيه على أنه يستحق بذل كل غال ونفيس في سبيل الوصول إليه، ولم يدرك أن التدريب على القيادة هو الخطوة الأولى إلى كرسي المدير .

قرأت لك وأنا أكتب لك هذا الجزء كتاب (٢١ قانونًا في القيادة) وهو من أروع ما سطر في القيادة للكاتب المخضرم جون سي ماكسويل متحدثا عن قوانين لا تتخلف أبدًا في القيادة، وكان من أجمل ما كتب: أن القيادة ليست موهبة ولا وراثة، ولكنها مهارة يسهل تعلمها شأنها في ذلك شأن المهارات الأخرى، وأنها تشبه الثقة بالنفس، فهي ليست وليدة يوم وليلة، بل إنها تنمو وتتطور إذا ما وضعت البذور في مكانها الصحيح وتعهدناها بالرعاية،

وتحدث الكتاب[1] عن أشهر خمس خرافات في القيادة وهي:

١- **الخرافة الأولى:** أن القيادة تتطلب أن تكون مديرًا حتى يتسنى لك ممارسة القيادة، وذلك لا أساس له من الصحة؛ لأنك تستطيع أن تكون مديرًا في كل لحظة إذا ما قررت ذلك، وبدأت بالفعل التدريب على القيادة .

٢- **الخرافة الثانية:** أن جميع رجال الأعمال قادة؛ وذلك لأنهم ناجحون، واستطاعوا حشد أتباع وأنصار لهم، ولكن الواقع غير ذلك لأن كثيرا من رجال الأعمال يفتقرون إلى الحد الأدنى من مهارات القيادة .

٣- **الخرافة الثالثة:** أن كل العلماء قادة، وهذا أيضًا غير صحيح، فالعلم والمعرفة بمعزل عن الحكمة والقدرة على التطبيق ومواجهة التحديات لا يحول العالم إلى قائد .

٤- **الخرافة الرابعة:** أن جميع الرواد الأوائل في مجالاتهم كانوا قادة، والحقيقة أنه لا دليل على ذلك، بل كانوا متميزين في مجالهم، وهذا وحده غير كاف للحكم عليهم بأنهم كانوا قادة .

[1] كتاب ٢١ قانون فى القيادة (جون س ماكسويل)

٥- **الخرافة الخامسة:** أن المركز الاجتماعي المرموق يصنع القائد، وهذا يبدو واضحا من النظر إلى الأتباع والمتسلقين والمستفيدين، ولكن الأمور تتكشف بوضوح عند زوال المنصب أو حدوث عارض .

هذه هي الخرافات الخمسة التي ما أن تسأل إنسانا لماذا لا تكون قائدا؟ فيجيبك على الفور: لأني لست واحدًا من هؤلاء الخمسة، وأقول لك: يا بني، بكل ثقة إنني تيقنت الآن أنك لا تحتاج أيًّا من هذه الخرافات الخمسة لكي تكون قائدا بارعا .

لعلي الآن أقف على بعض أسباب ضعف القيادة في شعوبنا .

يشكو لي البعض في برامج (التدريب على القيادة) أن التربية وأسلوب التنشئة كان هو القاتل الأول لتنمية القدرة على القيادة؛ لأن كثير من الآباء والأمهات يتعاملون مع الأبناء على أنهم أقل ذكاء منهم، يعمل الأب في وظيفة متواضعة ويحدث أبناءه عن تفوقه الدراسي وخبرته الكبيرة في الحياة، وتكون الأم لا تستطيع نطق الحروف العربية أو الإنجليزية بشكل سليم وتخبر أبناءها بأنها كانت نجمة الإذاعة المدرسية، وكانت تخطط لكي تكون مذيعة لامعة بالتليفزيون المصري والعربي، ولكن توفي والدها أو والدتها فأصيبت بصدمة وتنازلت عن أهدافها .

عندما يسمع الأبناء هذه الروايات يصدقونها لفترة من الزمن، ثم بالخبرة وتقدم العمر يكتشفون الحقيقة، لقد حرم هؤلاء من تجربة الرجل الأول حتى وهم يشترون الحلوى، فالأب والأم يقومان برسم خطين للأبناء؛ الأول: أخضر في إشارة إلى الصواب، والثاني: أحمر في إشارة للخطأ، ولا بد أن يسير الأبناء طوال الوقت وفقًا لهذا التقييم، وبعد مضي السنين يحتاج كل منا نتيجة لهذه التنشئة إلى من يقوده ويصدر له التعليمات والقرارات لكي يبدأ التنفيذ، فتحولت شعوبنا إلى ملايين من الرجل الثاني، إن القيادة يا بني هي مزيج فريد من الذكاء والقدرة على التأثير في الآخرين وتحمل المسئولية، والقائد الناجح لابد أن يكون لديه إيمان شديد بما يفعله ولديه إجابة واضحة عن أسباب أفعاله، **(ومن أجمل ما قال نابليون عن القيادة والقائد: إن أول ما يجب أن يتوفر في القائد رأس هادئة , وبذلك تظهر له الأشياء على حقيقتها وفي مظهرها الصحيح، ويجب ألا يتأثر بالأخبار الحسنة أو السيئة, كما ينبغي ألا يتخلص من مسؤولية أخطائه بإلقائها على الأوامر التي تلقاها من رئيس يعلوه , بل عليه أن يسير وفقًا لهدف تجاربه الخاصة ويعتمد على مواهبه).**

ولكي تكون قائدًا فهذه هي الأسرار التسعة للقيادة:

قوة الكاريزما

القائد يا بني تشعر به حتى وأنت بعيد عنه، فهو شديد التأثير على من حوله حتى وإن لم يكن معهم، والأتباع دائما يتذكرون كلماته وهمساته وحركاته وسكناته، بل إن الكثير منهم يحاول أن يتقمص شخصيته ويقلده .

لو تتبعت القادة في العالم ستجد الكاريزما هي أول قوة تجذب الناس نحو القائد وتأتي بعد ذلك القوى الأخرى .

قوة الإيجابية

هذه الطاقة الجبارة التي تصنع الفارق بين القائد والمتبوعين، فالقائد يستطيع أن يرى المنحة في المحنة، ويعثر على الأمل في ثنايا الألم، يقول العلماء: إن الشخص الإيجابي يستطيع تحريك ٤٠٠ شخص سلبي والتأثير عليهم ورفع روحهم المعنوية.

قوة القرار

قدرة القائد على اتخاذ القرار تعتبر من المقومات الهامة في شخصية القائد، عند حدوث المشكلات أو الأزمات يبحث الناس عن الشخص الذي لديه القدرة على اتخاذ قرار وتحمل مسئولية النتائج المترتبة عليه، ولكي يكون القرار صائبا لابد أن

يتمتع القائد بالبصيرة التي تسمح له بالرؤية النافذة، ولعل أكثر ما يلهمني في هـذا هو ما فعلته الملكة العظيمة بلقيس ومقومات القيادة البارزة والتي تستحق كتابًا كاملا وليس جزءا من كتاب .

تأمل معي يا بني ما قاله الهدهد عنها: (إنّي وجدتّ امرأةً تملكهم وأوتيت من كلّ شيء ولها عرش عظيم)[1] .

لقد تلقت هذه الملكة الحكيمة كتاب سليمان عليه السلام فعرضت الأمر على الملأ من قومها للمشورة: (قالت يا أيّها الملأ إنّي ألقي إليّ كتاب كريم * إنّه من سليمان وإنّه بسم اللّه الرّحمن الرّحيم * ألاّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين * قالت يا أيّها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعةً أمرًا حتّى تشهدون) [2] .

وقد جاء رد الملأ قويا وحازما، ولكنه لم يكن حكيمًا، لقد أشاروا بالاستعداد والجاهزية للحرب قائلين: (نحن أولوا قوّة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) .

---

[1] سورة النمل، آية ٢٣ .
[2] سورة النمل، آية ٢٩: ٣٢ .

فسمعت بلقيس لمشورتهم، ولكنها بحكمة القائد اتخذت قرارًا مغـــايرًا، وبـــررت موقفها: (قالت إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّةً وكـــذلك يفعلون) وكان القرار: (وإنّي مرسلة إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون) .

القوة الثلاثية

التفويض: هو العامل الأول في القوة الثلاثية، فالقائد القوي الملهم يعرف قدرات أتباعه، ويستطيع بسهولة تكليفهم بالمهام المناسبة، ولكي يكون التفويض سليما لا بد أن يكون القائد مستعدا لتحمل التبعات والمسئولية المترتبة على قرار التفويض، فما أسهل أن يفوض المدير، ولكنه نادرًا ما يتحمل المسئولية ويكون التفويض في هذه الحالة نوعًا من التخلص من الأعباء .

التفويض يا بني هو اختبار قائد اليوم ومصنع قائد الغد.

ولخبرتي الطويلة في العمل الشرطي فقد لاحظت غالبا أن توزيع الأدوار يكون الهدف منه البحث عن كبش الفداء في حالة وقوع الأخطاء ليصبح هـــذا المفهـــوم الرديء يشكل ثقافة أمة بأكملها .

المسئولية:

هي العامل الثاني في القوة الثلاثية، فالقدرة على تحمل مسئولية الأخطاء أو التنصل منها هو ما يميز القائد عن غيره . عندما يخسر الفريق مباراة من مباريات الكرة تجد هناك نوعين من المدربين؛ الأول: يعترف ببعض أخطاء التشكيل أو التغييرات أو خطة اللعب أو عدم التوفيق، والثاني: يلقي بالمسئولية فورًا على اللاعبين حتى لو كانوا قد أدوا ما عليهم .

الحماية:

وهي العامل الأخير في القوة الثلاثية، فلا بد أن يكون لدى القائد القدرة على الدفاع عن الأتباع وحمايتهم، فمن الطبيعي أن تنتج بعض الأخطاء نتيجة لعملية التفويض ويبقى اختبار القائد ليس في تحمل مسئولية الأخطاء، ولكن في حمايتهم بشكل يسمح لهم بتلافي الأخطاء وعدم تكرارها مستقبلا، والتمييز بدقة بين الرعونة وخطأ الاجتهاد .

قوة الحافز

لا بد أن تمتلك القدرة على تحفيز الآخرين وتشجيعهم، وهذا التحفيز في المجموعات الصغيرة غالبًا لا يكون ماديًّا وإنما تشجيعًا معنويًّا ودعمًا متواصلا يجعل الجميع يشعر بالطاقات وكأنها تنتظر الإشارة للانطلاق لتحقيق الأهداف .

قوة العقاب

وهذه هي قدرة القائد على معاقبة الفريق، وبالطبع سيتبادر إلى ذهنك أني أحدثك عن العقاب المادي أو البدني، الحقيقة أنني لا أقصد مطلقًا هذا النوع من العقاب الذي هو الأقرب إلى الذهن، وإنما أقصد العقاب بالامتناع عن الجلوس مع المخطئ أو مساعدته ومحاورته، فعندما يكون القائد مؤثرًا وملهما فإن أقصى عقاب يمكن أن يوجه إلى من أخطأ هو الحرمان من الأنس بالجلوس مع القائد والاستفادة من خبراته .

قوة الشرعية

وهي الطريقة التي تولى بها القائد مهام ومسئوليات القيادة، فالفارق الكبير بين القائد والمدير فالأول يمتلك قوة الشرعية التي رفعته إلى كرسي القيادة ورغبة الأتباع في الانقياد له، أما الثاني، وهو المدير، فلا يمتلك هذه القوة السحرية التي تحرك الجبال، وإنما يعتمد وجوده على قوة السلطة التي وضعته على كرسي الإدارة .

قوة الإعجاب

من أهم مصادر القوة التي يمتلكها القائد قوة الإعجاب وهي شعور الفريق أو المجموعة بالفخر لكونهم تحت قيادتك، وهذا وحده كفيل بتوجيه الطاقات والتفاني في العمل والوصول إلى الأهداف من أقصر طريق وفي أسرع وقت .

قوة الخبرة

لكي تكون قائدًا مؤثرًا فلا بد أن تمتلك خبرات إضافية يشعر معها تابعوك بأنهم في حاجة دائمة لخبراتك الحياتية وليس فقط المعلوماتية، ولعل صورة اختيار طالوت ملكًا لبني إسرائيل تظل دائما ماثلة أمام عيني حيث أوضح نبيهم أن اختيار

طالوت جاء بالحكمة الإلهية التي عبر عنها القرآن في إيجاز معجز في قول الحق سبحانه: (وقال لهم نبيّهم إنّ اللّه قد بعث لكم طالوت ملكًا قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه ولم يؤت سعةً من المال قال إنّ اللّه اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم) [1].

وتذكر يا بني أن المال ليس من دعائم القيادة، ولكنه خدعة كبيرة يتوهمها أصحاب الأموال عند رؤية الأتباع حيث يلتف الناس حول المال وليس حول صاحبه.

إذا بادرت لفعل شيء وتبعك آخرون فأنت قائد .

وإذا كسرت قاعدة من سبقك وبنيت قاعدة أخرى فأنت قائد .

وإذا استطعت أن تغير قناعات الآخرين فأنت قائد .

وإذا أسست مفاهيم جديدة رائعة والتزمت بها ثم صارت منهجًا .. فأنت قائد .

[1] سورة البقرة ، آية ٢٤٧ .

دون ملاحظاتك